المحاضرة 4: الفن الحجري الحديث (النيوليتي)

1.الأهداف التعلّمية

بنهاية هذه المحاضرة، يكون الطالب قادرًا على:

- فهم التحول الجذري من اقتصاد الصيد والالتقاط إلى اقتصاد الإنتاج (الزراعة وتدجين الحيوان).
- تحليل العلاقة بين الاستقرار والعمارة والفن، وكيف غيّر الاستقرار وظيفة الفن؟
- التمييز بين أنواع النصب الميغاليتية (دولمن، منير، كروملیك) ووظائفها.
- تفسير فن النيوليتي في ضوء المعتقدات الزراعية والخصوبة.

2.الإطار الزمني والجغرافي

يمتد العصر الحجري الحديث (النيوليتي) من نحو 10,000 إلى 3,000 ق.م، ويُعدّ نقطة تحول حاسمة في تاريخ البشرية. ظهرت بوادره الأولى في الهلال الخصيب (فلسطين، سوريا، الأناضول، بلاد الرافدين)، ثم انتشر تدريجيًا نحو أوروبا وشمال إفريقيا وآسيا. الثقافة النطوفية (Natufian) في فلسطين ووادي الأردن (نحو 12,500–9,500 ق.م) تُعتبر المرحلة الانتقالية الأولى: استقر الإنسان في مواقع ثابتة، وجمع الحبوب البرية بكثافة، لكنه لم يعرف الزراعة بعد.

لماذا بدأ النيوليتي؟

يرى الباحثون أن تغيّر المناخ في نهاية العصر الجليدي (ارتفاع الحرارة) أدى إلى تراجع الصيد وانتشار الحبوب البرية، فاضطر الإنسان إلى استراتيجية غذائية جديدة تعتمد على الجمع المكثف ثم الزراعة. هذا التحول لم يكن "اختيارًا" بل استجابة بيئية لضغط البقاء.

3.الثورة الزراعية: التحول الجذري

3.1.من الجمع إلى الإنتاج

الثورة الزراعية (Neolithic Revolution) هي أعظم تحول في تاريخ الإنسان: من الاعتماد على الطبيعة إلى التحكم فيها. بدأ الإنسان يزرع القمح والشعير، ويدجّن الماعز والأغنام والأبقار والخنازير. هذا التحول أنتج فائضًا غذائيًا، وهو ما سمح بـ:

- نمو السكان.
- تقسيم العمل (زراع، حرفي، كاهن، محارب).
- نشوء القرى والمدن.
- تطور المعتقدات الدينية (طقوس الخصب، عبادة الأم الأرض).

3.2. الاستقرار والعمارة

الاستقرار أدى إلى ظهور العمارة الثابتة: بيوت من الطين والحجر، بعضها مستدير (تشاتال هويوك) وبعضها مستطيل (أريحا). في أريحا (فلسطين، نحو 9000 ق.م)، وُجدت أقدم أسوار حجرية في التاريخ، وبيوت مستديرة مبنية بالطين، وجماجم بشرية مغطاة بالجص مع عيون من الأصداف — مما يشير إلى طقوس جنائزية وعبادة الأسلاف.

4. الفخار: الثورة التقنية والجمالية

الفخار هو أهم ابتكار تقني في النيوليتي. لم يكن مجرد أداة تخزين، بل كان مرآة للمجتمع: شكله، زخارفه، وألوانه تعكس الذوق الجماعي والمعتقدات الدينية.

- **مراحل تطور الفخار**

المرحلة	الخصائص
الفخار المبكر(PPNA)	يدوي، بسيط، بلا زخرفة أو بزخارف بسيطة، ألوان طبيعية
الفخار المتطور(PPNB)	مصقول، ملون بالأحمر والأسود، زخارف هندسية (خطوط، مثلثات، دوائر)
فخار العصر النحاسي	ألوان متعددة، زخارف معقدة، أشكال متنوعة، ظهور البرنيق (طلاء لامع)

- **الزخارف والوظائف**

الزخارف الهندسية (خطوط متعرجة، مثلثات، دوائر، نقاط) لم تكن تزيينًا عبثيًا، بل كانت لغة رمزية:

- الخطوط المتعرجة: قد ترمز إلى الماء أو الأفعى (رمز الخصب).
- المثلثات: قد ترمز إلى المرأة أو الجبل.
- الدوائر: قد ترمز إلى الشمس أو دورة الحياة.

الفخار استُخدم في الطقوس الدينية (تقديم القرابين)، والدفن (أواني جنائزية)، والتخزين (الحبوب والسوائل).

5. النصب الميغاليتية: عمارة الأحجار الضخمة

الميغاليت (Megalith) كلمة يونانية تعني "الحجر الضخم". وهي بنايات من أحجار ضخمة، غير مصقولة في الغالب، وُضعت بدون مونة (طين أو إسمنت). انتشرت في أوروبا الغربية (بريطانيا، فرنسا، إسبانيا، البرتغال) وشمال إفريقيا وغرب آسيا.

- **أنواع النصب**

النوع	التعريف	الوظيفة المفترضة
الدولمن (Dolmen)	غرفة دفن من أحجار عمودية (orthostats) مع سقف حجري(lintel)	مقبرة جماعية، مكان طقسي

المنير(Menhir)	حجر عمودي منتصب، منفرد أو في صفوف	علامة تذكارية، حدود مقدسة، رمز خصب
الكروملیك (Cromlech)	دائرة من أحجار عمودية، قد تكون مع سقوف حجرية	معبد، مرصد فلكي، مركز احتفالي

- **ستونهنج :(Stonehenge) أعظم كروملیك**

- الموقع: سهل ساليسبري، ويلتشير، جنوب غرب إنجلترا.
- التأريخ: بدأ بناؤه نحو 3000 ق.م، واستمرت مراحله حتى 1600 ق.م.
- البنية: دائرة خارجية من أحجار ضخمة (sarsen) يصل وزن بعضها إلى 25 طنًا، مع عتبات أفقية (lintels).داخلها دائرة أصغر من أحجار زرقاء (bluestones) جُلبت من ويلز (على بعد 250 كم.(

التفسيرات:

- مرصد فلكي: يُحاذي شروق الشمس في الانقلاب الصيفي (21 يونيو) وغروب الشمس في الانقلاب الشتوي. هذا يشير إلى معرفة فلكية متقدمة.
- معبد ديني: يُرجّح أنه كان مركزًا احتفاليًا لطقوس مرتبطة بدورة الفصول وعبادة الشمس.
- مقبرة: اكتُشفت مدافن بشرية في الموقع، مما يشير إلى وظيفة جنائزية أيضًا.
- الوظيفة الاجتماعية: ستونهنج كان مكانًا للتجمع الجماعي، حيث كانت القبائل تلتقي للاحتفال والطقوس، مما يعزز الهوية الجماعية والروابط الاجتماعية.

.6 قرى نموذجية: أريحا وتشاتال هويوك

.6.1 أريحا (Jericho)

·الموقع: فلسطين، وادي الأردن.

·التأريخ: نحو 9000 ق.م (أقدم مستوطنة زراعية معروفة).

·المعالم: برج حجري (8.5 م)، سور، بيوت مستديرة من الطين، جماجم مغطاة بالجص مع عيون من الأصداف.

·الدلالة: أريحا تُظهر بدايات العمارة الضخمة وطقوس عبادة الأسلاف. الجماجم المشكّلة تدل على أن الموت كان حدثًا مركزيًا في الحياة الاجتماعية.

.6.2 تشاتال هويوك (Çatalhöyük)

·الموقع: الأناضول (تركيا الحالية).

·التأريخ: نحو 7500–5700 ق.م.

·المعالم: بيوت متراصة بلا شوارع (الدخول من السقف)، رسوم جدارية تصور مشاهد صيد ورقص، تماثيل نسائية (الأم)، رؤوس ثيران مزخرفة .(bucrania)

·الدلالة: تشاتال هويوك تُظهر مجتمعًا زراعيًا معقدًا له معتقدات دينية متطورة، حيث يبدو أن الثور كان رمزًا للخصوبة والقوة، والمرأة كانت مرتبطة بعبادة الأم الأرض.

7. الفن والخصوبة: تماثيل الأم

في النيوليتي، ظهرت تماثيل نسائية بكثرة، تمثل الأم الأرض (Mother Goddess) أو إلهة الخصب. هذه التماثيل:

·عادية (بلا ملامح وجه في الغالب).

·ممتلئة الجسم (مبالغة في الأرداف والثديين).

·تُصنع من الطين أو الحجر.

·تُدفن أو تُوضع في المعابد.

التفسير: هذه التماثيل مرتبطة بالخصوبة الزراعية والإنجاب. في مجتمع زراعي، المرأة هي رمز الإنتاج والحياة، تمامًا كما أن الأرض تنتج المحاصيل. التماثيل تُستخدم في طقوس دينية لضمان وفرة المحاصيل واستمرار الحياة.

8. خصائص فن النيوليتي

الخصيصة	الشرح
البساطة	الأشكال بسيطة، بلا تفاصيل تشريحية دقيقة
الرمزية	كل شكل يحمل معنى يتجاوز مظهره
الارتباط بالمعتقدات الزراعية	الفن في خدمة طقوس الخصب والخصوبة
الجماعية	لا فردية، لا توقيع، الفن تعبير جماعي
الوظيفية	الفن أداة طقسية ودينية وتعليمية

9. النشاط التطبيقي: رسم مخطط لستونهنج وتحليل وظيفته

1. رسم مخطط تخطيطي: ارسم دائرة خارجية (أحجار سارسن)، دائرة داخلية (أحجار زرقاء)، وحدد محور الانقلاب الصيفي.

2. التحليل الوظيفي: لماذا وُضعت الأحجار الزرقاء في مواضع محددة؟ كيف تُحاذي الشمس؟

3. التفسير: هل ستونهنج معبد؟ مرصد؟ مقبرة؟ مركز اجتماعي؟ ما الأدلة؟

4. الخلاصة: ستونهنج ليس مجرد "حجارة"، بل تعبير عن رؤية كونية، حيث الفلك والدين والعمارة يتكاملون.